مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيد

عَلِيّ سُوَاعِي

1961 - 1932

مَنْشُورَات المَتْحَف الوَطَنِي لِلمُجَاهِد

الشهيد

علي سواعي

1961 - 1932

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2012
ر . د . م . ك : 978-9931-312-10-9
الإيداع القانوني : 2012-3711

المتحف الوطني للمجاهد

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني :Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

فِي يَوْم مِنْ أيَّام شَهْرِ نُوفَمْبَر، تَرَاكَمَتِ السُّحُبُ فِي السَّمَاءِ، وَأخَذَ المَطَرُ يَهْطِلُ بِغَزَارَةٍ، فَوَقَف "عليٌّ" تَحْتَ شُرْفَةِ مَنْزِلِ جَارِه "الشَّيْخ عَبْدِ القَادِر" لِيَحْمِيَ جسدَهُ مِنَ المَطَرِ. أطَلَّ الشَّيْخُ مِنْ النَّافِذَة فَرَآه، فَطَلَبَ مِنْه الدُّخُولَ إلَى بَيْتِهِ.

فَلَمّا دخَلَ وَجَدَ أفْرَادَ عَائلَتِه جالِسينَ بِالقُرْبِ مِنْ مِدْفَأةٍ لِمُقَاوَمَةِ البَرْدِ الشَّدِيدِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ المُطِير.

تَحَدّثَ الشَّيخُ قَلِيلاً مَعَ حَفِيديْه: وَلِيدٍ وَهُدَى، ثُمَّ حَوَّلَ الشيخُ الحَدِيثَ إلَى الثَّوْرَةِ، وَمَا كَانَ يُعَانِيه الشَّعْبُ مِنْ ظُلمِ الاسْتِعْمَارِ وَاضْطِهَادِه، وَمَا كَانَ يُقَاسِيه المُجَاهِدُون مِنَ البَرْدِ، أثْنَاءَ فَصْلِ الشِّتَاءِ،

لأنَّهُم كَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ إشْعَالَ النَّار لِمُقَاوَمَتِه إلاَّ فِي حَالاَتٍ نَادِرَة.

حَفِيدته هُدَى: بِمَا أنَّنَا فِي شَهْرِ الثَّوْرَة، فَحَدّثْنا عَنْ شَهِيدٍ مِن شُهَدَائِهَا مِمَنْ عَرَفْتَهُم، ياجدُّ.

عبد القادر: عِنْدَمَا أتَذَكّرُ أحداثَ الثّوْرَة وَشُهَدَاءَهَا، لاَ أسْتَطِيعُ السَّيْطَرَةَ عَلَى عَوَاطِفِي، وَلاَ أسْتَطِيعُ أنْ أحْبِسَ دُمُوعِي، لأنِّي أتَذَكَّرُ أصْدقَاءَ كُنْتُ أحِبُّهُم؛ ثُمَّ التَفَتَ إلَى "عليٍّ" وَقَالَ: أحَدِّثُكمُ اليَوْمَ عَنِ شَهِيدٍ اسْمَهُ مِثْلُ اسْمِك، يَا عَلِيُّ، هُوَ عليّ سُوَاعِي، مِنْ مَوَالِيدِ مَدِينَة تِبَسّة؛ وُلِدَ فِي 16 مارس عام 1932 مِنْ أبَوَيْنِ هُمَا زَينُ العَابِدِين بْنُ مُحَمّدٍ، وَالعَطْرَةُ بِنْتُ أحْمَدَ ابْرَاهِيمي.

نَشَأ فِي أحْضَانِهما فِي رَغدٍ مِنَ العَيْشِ، لأنَّ أبَاهُ كَانَ يَمْتَهِنُ حِرْفَةَ الطَّرْزِ وَالخِيَاطَةِ.

وليد: أيْنَ درَسَ؟

عبد القادر: الْتَحَقَ فِي بِدَايَةِ الأمْرِ بِكُتَّابِ جَامِعِ "سِيدِي بَنْ سَعِيد"؛ لِيَحْفَظَ القُرآنَ الكَرِيمَ، ثُمَّ التَحَقَ بِمَدْرَسَةِ التَّهْذِيبِ الَّتِي كَانَ يُشْرِفُ عَلَيْهَا العَرْبِي التِّبَسّي عُضْوُ جَمْعِيّةِ العُلَمَاءِ المسْلِمِين الجَزَائِرِيّينَ، كَمَا التَحَقَ بِالمَدْرَسَةِ الفَرَنْسِيّةِ لِيَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ الأجْنَبِيّةَ فِي مَدْرَسَةِ الذُّكُورِ الَّتِي تَحْمِلُ – حَالِيًا – اسْمَ عَبْدِ الحَمِيدِ بْنِ بَادِيسَ.

وبَعْدَ أنْ أنْهَى مَرْحَلَةَ التَّعْلِيمِ الابْتِدَائِيّ، انْتَقَلَ إِلَى التَّعْلِيمِ التَّكْمِيلِي (المُتَوَسّط) فِي السّنَةِ الدِّرَاسِيّة (1949–1950) وَلَكِنَّهُ تَوَقّفَ عَنِ الدِّرَاسَةِ وَهُوَ فِي السَّنَةِ الأولَى.

علي: لِمَاذَا تَوَقّفَ عَنْهَا؟

عبد القادر: فِي عَام 1950 اكْتَشَفَ العَدُوُّ الفَرَنْسِيُّ المُنَظَّمَةَ الخاصّة الَّتِي أنْشَأتْهَا حَرَكَةُ

الانْتِصَارِ لِلْحُرِّيَاتِ الدِّيمُقْرَاطِيَةِ عَام 1947؛ وكَانَ أَخُوهُ نُورُ الدّين عُضْوًا فِيهِا، لذلك اعْتَقَلَتْهُ السُّلُطَاتُ الفَرَنْسِيَّةُ مِثْلَمَا اعْتَقَلَتِ الكَثِيرَ مِنْ أَعْضَائِهَا، فَتَعرّضَ عليٌّ لِضَغْطٍ مِنْ طَرَفِ الإِدَارَةِ الْمَدْرَسِيَّةِ، أَجْبَرَهُ عَلَى الانْقِطَاعِ عَنِ الدِّرَاسَة.

وليد: مَاذَا فَعَلَ بَعْدَ مُغَادَرَتِهِ مَقَاعِدَ الدِّرَاسَة؟

عبد القادر: فِي البِدَايَةِ انْضَمَّ إِلَى فَرْعِ الكَشَّافَةِ الإِسْلاَمِيّةِ بِالمَدِينَةِ، فتَلَقَّى تَكْوِينًا كَشْفِيًا، ثُمَّ التَحَقَ بِفَرِيقِ الأَشْبَالِ التَّابِعِ لِلشَّبِيبَةِ الإِسْلاَمِيّةِ الرِّيَاضِيّةِ بِمَسْقَطِ رَأْسِهِ، فَصُقِلَتْ مَوَاهِبُهُ، وَتَفَتَّحَتْ مَدَارِكُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا.

وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ تَوَلَّى أُمُورَ أُسْرَتِهِ، وَرِعَايَةَ مَصَالِحِهَا قَبْلَ أَنْ يَكْتَمِلَ العَقْدُ الثَّانِي مِنْ عُمْرِه.

هدى: هَلْ مَارَسَ النِّضَالَ السِّيَاسِيَّ فِي الحَرَكَةِ الوَطَنِيّةِ، كَمَا فَعَلَ أَخُوهُ نُورُ الدِّين؟

عبد القادر: نَعَمْ، انْخَرَطَ هُوَ الآخَرُ فِي حَرَكَةِ الانْتِصَارِ الَّتِي أَنْشَأَت المُنَظَّمَةَ الخاصّة، وَفِي زَمَنٍ يَسِيرٍ صَارَ عُضْوًا نَشِيطًا فِيهَا، فَقَامَ بِدَوْرٍ كَبِيرٍ فِي تَوْعِيَةِ الشَّبَابِ، وَتَجْنِيدِهِمْ لِمُسَانَدَةِ مَطَالِبِ الحَرَكَةِ؛ وَلَكِنَّ وَضْعَهُ الأَسَرِي عَرَفَ تَذَبْذُبًا بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ، وَسَجْنِ أَخِيه.

وليد: وَضِّحْ لَنَا هَذَا التَّذَبْذُبَ -مِنْ فَضْلِك- يا جدّي.

عبد القادر: عَرَفَتْ أَسْرَتُهُ ضيقَ الحَالِ، بَعْدَ رَغَدِ العَيْشِ الَّذي عَرَفَتْهُ مِنْ قَبْلُ، فَفَكَّرَ عَلِيٌّ فِي الهِجْرَةِ، لَعَلَّ أَحْوَالَهُ المَادِّيَةَ تَتَحَسَّنُ؛ فَذَهَبَ إِلَى مَدِينَةِ عنَّابَةَ بَعْدَ أَنْ بَاعَ مَحَلَّ أَبِيهِ بِمَا فِيهِ مِنْ مُحْتَوَيَاتٍ، وَاسْتَقَرَّ فِيهَا، لِيُمَارِسَ نَفْسَ الحِرْفَةِ الَّتِي وَرِثَهَا عَنْ أَبِيهِ، وَلَكِنَّ أَحْوَالَهُ لَمْ تَسْتَقِرَّ فِي مَدِينَةِ عَنَّابَة.

هدى: مَاذَا فَعَل؟

عبد القادر: غَادَرَ مَدِينَةَ عنَّابَة إِلَى مَدِينَة "سُوق أهْرَاسْ" لِيُمَارِسَ نَفْسَ الحِرْفَة، فِي مَحَلٍّ اكْتَرَاهُ هُنَاك، وَأثْنَاءَ إِقَامَتِه بِسُوق أهْرَاس الْتَقَى بِشَخْصٍ مِنْ مَدِينَة تِبَسّة، كَانَ نَجّارًا فيها، وكَانَ صَدِيقًا لأخِيه نُور الدِّين، وَبِوَاسِطَته الْتَحَقَ عَلِيٌّ سَوَاعي بِالثَّوْرَة المسَلَّحَة.

علي: مَتَى التَحَقَ بِالثَّورَة؟

عبد القادر: التَحَقَ بِهَا خِلاَل شَهْرِ سبتَمْبَر 1955 بِمَدِينَة سُوق أهْرَاس، وَفَوْرَ التِحَاقِه عُيِّنَ فِي خَلِيَّةٍ كَانَ أعْضَاؤُهَا يَنْشَطُون عَلَى مُسْتَوى المَدِينَة وَما جَاوَرَهَا. وَبَعْدَ مَعْرَكَة الجرْف، الَّتِي وَقَعَتْ فِي الأسْبُوع الأخِير مِن الشَّهْرِ الَّذِي التَحَقَ فِيه عَلِيّ سوَاعِي بِالثَّوْرَة، انْتَقَلَ إِلَى مَنْطقَة الأوْرَاس، حَيْثُ وَجَدَ فِي اسْتِقْبَالِه الشَّخْصَ الَّذِي جَنَّدَهُ فِي سُوق أهْرَاس.

وليد: مَا هِيَ المَسْؤولِيّاتُ الَّتِي كُلِّفَ بِها ؟

عبد القادر: كُلِّفَ بِنَقْلِ السِّلاَحِ عَبْرَ الحُدُودِ الشَّرْقِيّةِ، لِمَا عُرِفَ عَنْهُ مِنْ نَشَاطٍ وَحَيَوِيّةٍ، وَسُرْعَةِ الحَرَكَةِ، فَقَامَ بِهَذِهِ المُهِمَّةِ أحْسَنَ قِيَام.

هدى: وَمَاذَا عَنْ عَلاَقَتِكَ بِه؟

عبد القادر: تَعَرّفْنَا عَلى بَعْضِنَا مُنْذُ الصِّغَرِ في مَسْقَطِ رَأسَيْنَا، وَعِشْنَا فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ مَعَ بَعْضِنَا بِمَدِينَةِ سُوق أهْرَاس، وَهُنَاكَ افْتَرَقْنَا عَن بَعْض؛ تَرَكْتُه هُنَاك، وَعُدْتُ إلَى مَسْقَطِ رَأسِي لِظُرُوفِي الخَاصَّة. ثُمَّ الْتَقَيْنَا مَرَّة أخْرَى فِي شَهْرِ أكْتُوبَر مِن عَام 1956، بَعْدَ مؤتمر الصومام. عَلِمْتُ منه حينئذ أنَّهُ كَانَ مُكَلَّفًا بِالبَحْث عَنِ الأسْلِحَة لِتَجْنِيدِ الشَّبَابِ فِي صُفُوفِ الثَّوْرَة، ثُمَّ التَقَيْتُ بِهِ عام 1960 بَعْدَ تَرْقِيتِه إلَى رُتْبَةِ رَائِدٍ عَسْكَرِيّ، وتَكْلِيفِه بِقِيَادةِ وِلاَيَةِ أوْرَاسِ النّمَامشة بِالنِّيَابَة؛

لقد تَحَدَّى الظُّرُوفَ الصَّعبةَ أثناءَ عُبُورِه خَطَّيْ مُورِيس وَشَال اللّذيْن كُنّا نسُمّيهِما بِخَطَّيِ الموْت.

علي: مَا هِي نَشَاطَاتُهُ بَعْدَ تَولّيهِ قيادةَ الوِلاية؟

عبد القادر: التَحَقَ بِمَيْدَانِ العَمَليَّاتِ العَسْكَرِيّة خِلاَلَ شَهْرِ أفْرِيل مِنَ السّنةِ نَفْسِهَا، وَدَعَا قادَةَ مَنَاطِقِ الولاَيَةِ لِحُضُورِ اجْتِمَاعٍ حَضَرْتُهُ بِصفتِي حارسًا لإطَارَات الْمَنْطَقَة السَّادِسَة مِنَ الْوِلاَيَة الأولَى.

علي: مَاذَا جَرَى فِي ذلك الاجْتِمَاعِ؟

عبد القادر: تَمَّ فيه دِرَاسَةُ الأوْضَاع العَامَّة للولاَيَة الأولَى، فِي ظِلِّ الحَمْلَة العَسْكَرِيّة الرَّهيبَة، الَّتِي قَامَ بِهَا العَدُوُّ؛ دَامَ الاجْتِمَاعُ خَمْسَةَ أيَّام، وَعقبَ انْتِهَائِه عَادَ قَادَةُ المَنَاطِق إلَى مَنَاطِقِهِم، لِتَطْبِيقِ القَرَارَاتِ الَّتِي اتَّخَذَتْهَا القِيَادَةُ العَامَّة فِي ذلك الاجْتِمَاع.

كَانَت الظُّرُوفُ الَّتِي جَرَى فِيهَا الاجْتِمَاع صَعْبَةً لِلْغَايَة؛ لأنَّ العَدُوَّ شَدَّدَ الحِصَارَ عَلَى تُرَابِ الوِلاَيَة. وبَعْدَ أنِ اسْتَقَرَّ بِهِ الْمُقَامُ فِي غَابَة "البْرَاجَة"، اسْتَدْعَى مَرَةً أخْرَى قَادَةَ المَنَاطِق لِتَقْدِيمِ عُرُوضِ حَالٍ عَنِ الأوْضَاعِ العَامّةِ بِكُلِّ مَنْطِقَة.

حَضَرَ الاجْتِمَاعَ عَدَدٌ مِنَ الإطَارَات السَّامِيَة فِي جَيْشِ التَّحْرِير الوَطَنِيّ مِنْ بَيْنِهِم الرَّائِد الطَّاهِرُ الزّبِيري الَّذِي دَخَل إلَى الوِلاَيَةِ الأولَى عَائِدًا مِنْ تُونِسَ بَعْدَ عَوْدَةِ "عَلِيّ سُوَاعي" وَفِي هَذَا الاجْتِمَاعِ أعِيدَ النَّظَرُ فِي تَعْيِينِ مَسْؤولِي المَنَاطِقِ وَالنَّوَاحِي. وَعَقِبَ الاجْتِمَاعِ الْتَحَقَ القادةُ بِمَناطقهم، وَبَقِيَ عَلِيّ سُوَاعِي مَعَ بعضِ إطَارَات الوِلاَيَة بِغَابَةِ البرَاجَة.

تَوَقَّفَ الشَّيْخُ عَبْد القَادِر عَنِ الكَلاَم، وَتنهّدَ، فَعَمَّ الصَّمْتُ، وَسَادَ جَوٌّ مِن الخُشُوعِ وَالهَيْبةِ، لَمْ

يَقْطَعْهُمَا إلاَّ عَوْدَةُ الشَّيْخ إلَى الحَديث مِنْ جَديدٍ عَن الشَّهيدِ عَلِي سُوَاعي، بِقَوْلِهِ: بَعْدَ هَذَا اللِّقَاءِ فَرَّقَ بَيْنَنَا المَوْت.

هدى: مَتَى اسْتُشْهِدَ؟

عبد القادر: اسْتُشْهِدَ فِي مَطْلَعِ عَام 1961 أثْنَاءَ مَعْرَكَةٍ بُطُوليّةٍ دَامِيَّةٍ خَاضَهَا الشَّهيدُ مَعَ عَدَدٍ مِنْ مُسَاعِديهِ وَجُنُودِهِ سَقَطَ فِيهَا شَهِيدًا، والْتَحَقَ بِرَكْبِ الخَالِدِين.

علي: مِنْ فَضْلِكَ صِفْ لَنَا ظُرُوفَ تِلْكَ المَعْرَكَةِ الدَّامِيّة.

عبد القادر: أحْسَنُ مَنْ وَصَفَهَا الطَّاهِرُ الزَّبيري الَّذِي حَضَرَهَا، لَقَدْ سَمِعْتُهُ مَرَّةً وَهُوَ يَقُول: عَلِمَ العَدُوُّ أنَّ ضُبَّاطًا سَامِينَ عَادُوا مِنْ تُونِسَ إلَى الوِلاَيَةِ الأولَى فَشَنَّ حَمْلَةً وَاسِعَةَ النِّطَاق، أحْكَمَ بِهَا الحِصَارَ عَلى الثَّـوْرَةِ بِالأوْرَاسِ؛ أطْلَـقَ عَلَى

تِلْكَ الحَمْلَةِ اسم "جِيمَالْ".

شَارَكَتْ فِي تِلْكَ الحَمْلَةِ قُوَّاتٌ عَسْكَرِيَّةٌ كَبِيرَةٌ، قَدِمَتْ مِنْ مُدُنٍ كَثِيرَةٍ؛ بَعْضُهَا قَدِمَ مِنْ مَدِينَةِ بَاتنة، وَبَعْضُهَا مِنْ خَنْشَلة وَتِبَسَّة وَبِسْكَرَة؛ كَانَتْ مُدَعَّمَةً بِالطَّائِرَات الحَربِيّة الَّتِي حَلَّقَتْ فِي الجَوّ، وَأَلْقَتْ عَلَى مَوَاقِعِ المجَاهِدِين قَنَابِلَ حارقَةً.

نَصَبَ المجَاهِدُون عَلَى أَطْرَافِ الغَابَةِ كَمَائِنَ لِلعَدُوّ الزَّاحِفِ نَحْوَهُم، ثُمَّ فَكَّرُوا فِي الابْتِعَادِ عَنْ مَرْكَزِ القِيَادَةِ الَّذِي كَانَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الأُمُورِ الهَامَّةِ كَالتَّمْوِينِ وَأَجْهِزَةِ اتِّصَالٍ وَغَيْرِهَا، وَأَثْنَاءَ الانْتِقَالِ اشْتَبَكَتْ المَجْمُوعَةُ الَّتِي كُنْتُ فِيهَا مَعَ عَلي سُوَاعي فَتَبَادَلَتْ مَعَ العَدُوِّ إِطْلَاقَ الرَّصَاصِ، وَأَثْنَاءَ تَبَادُلِ الرَّمْيِ أُصِيبَ عَلِيٌّ سُوَاعي فِي رِجْلِه فَكُسِرَتْ، فَأَصْبَحَ عَاجِزًا عَنِ الحَرَكَةِ؛ احْتَرْنَا فِي كَيْفِيَّةِ التَّصَرُّفِ مَعَهُ أَثْنَاءَ تَبَادُلِ الرَّمْيِ مَعَ العَدُوِّ

الَّذِي كَانَ يُلاَحِقُنَا، وَفِي الأخير اتّفَقْنَا عَلَى إخْفَائِه فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ، وَغَطَّيْنَاهُ بِالحَشِيشِ، وَقَبْلَ أَنْ نُفَارِقَهُ سَلَّمَ سِلاَحَهُ إِلَى أَحَدِ المجَاهِدِين الَّذِينَ نَقَلُوه إِلَى إحدى الشِّعَاب؛ وَلَكِنّ العَدُوَّ اسْتَطَاعَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ، وَيَقْتُلَهُ.

هَذَا مِثَالٌ عَنْ تَضْحِيَات جِيلِنَا، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَقُومُوا أَنْتُم بِوَاجِبِكُم نَحْوَ وَطَنِكُمْ بِالاجْتِهَادِ فِي الدِّرَاسَةِ، وَالإِخْلاَصِ فِي العَمَلِ، وتَقْدِيمِ المَصْلَحَةِ العَامّةِ عَلَى المَصْلَحَةِ الخَاصَّةِ، وَبِهَذَا تَكُونُونَ أَوْفِيَاءَ لِشُهَدَاءِ الثَّوْرَةِ.

المَجْدُ وَالخُلُودُ لِشُهَدَائِنَا الأَبْرَارْ